تاريخ الاستلام: 2015/12/07 -تاريخ التحكيم: 2016/02/26 -تاريخ النشر2016/06/28

الروابط الاقتصادية بين ضفتي الصحراء الكبرى ودور اليهود في النشاط التجاري أواخر العصر الوسيط

أ.عبد القادر كركار

جامعة الشهيد حمة لخضر بالوادي (الجزائر)

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

Résumé:

Cette étude porte sur les relations et les liens économiques entre les deux rives de l'Afrique subsaharienne Comme un facteur vital pour les habitants des deux régions

d'abord par les corridors de commerce où l'ouest du Soudan a été relié à un réseau de routes Formé en raison de liens historiques en particulier dans le domaine économique Malgré les difficultés naturelles et les risques de sécurité

Puis les centres commerciaux les plus importants dans le Nord et leur homologue dans le sud, d où L'échange de marchandises

enfin les Juifs dans la Région de Touat est leur présence comme un moteur clé pour l activité commerciale qui les a fait jouer un rôle important en tant qu'intermédiaires

الملخص

تتطرق هذه الدراسة للعلاقات والروابط الاقتصادية بين طرفي الصحراء الافريقية الكبرى كعامل حيوي بالنسبة لسكان المنطقتين بدايتا بالطرق التجارية حيث كان السودان الغربي مرتبط بشبكة من الطرق التجارية تكونت نتيجة العلاقات التاريخية الوطيدة خاصة في المجال الاقتصادي رغم الصعوبات الطبيعية والأمنية ثم التطرق الى أهم المراكز التجارية في الشمال ونظيرتها في الجنوب حيث كان يتم تبادل السلع .

ثم تطرقت الى يهود منطقة توات بداية بظروف تواجدهم بإعتبارهم محرك أساسي لتجارة الصحراء ، و نشاطهم التجاري الذي جعلهم يلعبون دور مهم كوسطاء وهذا ما مكنهم من التحكم في كل هذه التجارة التي تعتبر مظهر إقتصادي حيوي للمنطقة

مقدمة

رغم شساعة الصحراء وما يميزها من صعوبة تضاريس ومناخ فقد قهرتها إرادة الانسان الذي إستقر في ربوعها وسلك دروبها بحثا عن تلبية حاجياته ونقل حاجيات جيرانه من خلال ممارسة التجارة والتي تعتبر أهم نشاط إقتصادي يتميز بالحركية والتفاعل والتواصل بين الشعوب ما يسهل عملية تبادل في مختلف أوجه الحياة، ومن هذا المنطلق نتابع مظاهر هذا النشاط في بقعة من الارض قد يتراأى للناظر العادي أنه من الاستحالة تواصل سكانها فيما بينهم في ظل ظروف طبيعية ومناخية قاهرة، وهي أطراف الصحراء الافريقية الكبرى.

الطرق والمسالك التجارية

إرتبطت بلاد المغرب الاوسط الواقعة شمال الصحراء وإفريقيا جنوب الصحراء بشبكة من الطرق و المسالك المتعددة، تمتد من أقصى مناطق الشمال إلى أقاليم السودان الغربي تشكلت نتيجة علاقات تاريخية متينة خاصة في المجال الاقتصادي من أجل تلبية حاجيات كل منطقة وهو ما ساعد على إيجاد سبيل لتواصل فكري وثقافي وإجتماعي في إطار حضاري بين كل من بلاد المغرب الاوسط والسودان الغربي، وقد عرف النشاط التجاري والذي هو عماد هذه الحركية بعض التحول في وتيرته في العهد الحمادي حيث مر في فترات ببعض التغيرات فالحركة التجارية ضعفت شيئا ما مع دول السود بعد إستيلاء الدولة المرابطية في(غانا) على منابع الذهب ثم سيطرت على طريقه فحرمت المدن الحمادية من مورد من أهم مواردها وحياتها الاقتصادية ما حذى بأرباب التجارة الجزائريون إلى تولية وجههم شطر الاسواق الاروبية(1)

أما في عهد الدولة الزيانية فقد إسترجعت الحركية حيويتها وعادت التجارة رائجة فكان التجار يرسلون سلعهم من تلمسان ووهران إلى ماوراء الصحراء عن طريق سجلماسة كذي قبل، حيث تلتقي قوافلنا بقوافل المغرب الاقصى وتؤم جميعا تمبكتو وغانا، وقوافل أخرى تخرج من سجلماسة أيضا وتلتقي في طريقها بالقوافل الخارجة من الصويرة ووادي نون وتؤم موريتانيا و السينغال والمالي وغانا وغينية (2) هذا قبل أن تتأثر من جديد وتتدهور بعد إزدهار التجارة البحرية نتيجة الكشوفات الجغرافية مما جعل بضاعة جنوب الصحراء تنتقل إلى المدن الساحلية بحرا عبر أروبا.

وقد كانت مدينة تيزيل جنوب تلمسان أول الصحراء ومنها تخرج القوافل إلى سجلماسة وورقلة، وهما بابا السودان (3) وأبرز هذه الطرق التي يمكن ذكرها بإيجاز نجد:

1.: طريق قسنطينة الى امقيد وتمبكتو: و يمر على بسكرة وتقرت و ورقلة، و أمقيد و أيفروان الى تومبكتو عبر الهقار والى شط بوروم (برنوح)، وله فرع إلى الشرق منه يبدأ من جنوب بسكرة، ويتجه إلى وادي سوف ومن هناك الى غدامس وغات ، وأقاديم، و ماو وفرع آخر غربي من البيوض الى عين صالح و فرع ثالث الى غات (4) وهو الطريق الرئيسي للشرق الجزائري في إتجاه الجنوب.

2.: طريق وهران و أرزيو الى تومبكتو : و يمر على خيثر و مشرية وعين الصفراء و فقيق و يتبع مجرى وادي زوزفانة إلى إيقلي حيث يلتقي بطريق فاس . تومبكتو، وله أيضا فرع آخر إلى شرق منه، مستقيم، يبدأ من الخيثر إلى البيض فالأبيض سيدي الشيخ و المنقب و توات، حيث يلتقي بطريق وهران و فاس و مكناس إلى تمبكتو.

3.: طريق مدينة الجزائر الى تومبكتو : و يمر على البليدة و بوغار والأغواط ووادي ميزاب و القليعة وعين صالح . أي الطريق الوطني رقم 1 الحالي . وأقابلي وبئر تيريشومين حيث يلتقي بطريق توات وتمبكتو، وله هو أيضا فرع آخر من عين صالح إلى بئر عيسو، و تنتيلوست، حيث يتفرع الى فرعين كذلك، فرع إلى أقادم، و ماو، شرق بحيرة تشاد، إلى أقادم، وكوكة جنوبها، وفرع إلى الجنوب الغربي نحو أغاديس حيث يتفرع هو الآخر إلى فرعين : فرع سوكوتو، وفرع

الى كاتسنا (5)

وعلاوة عن هذه الطرق التي تعتبر الاكثر شهرة فقد كان يوجد إلى جانبها طرق تنطلق من محطات تجارية هامة، فقد تميزت الجزائر بأقاليمها التجارية الهامة كمناطق عبور أي مايعرف في لغة التجارة بالترانزيت مثل ورقلة وتوات اللتين كانتا منطلقا لبعض الطرق الرابطة بين شمال الصحراء و جنوبها، فلقد سلكت القوافل التجارية ما بين حاضرة ورقلة وحواضر بلاد السودان الغربي عدة مسالك صحراوية من القرن الثاني الهجري . التاسع الميلادي إلى الثالث عشر الهجري . التاسع عشر الميلادي، أي على مدار أكثر من عشرة قرون من الزمن منها ما هو رئيسي ومنها ما هو ثانوي، ومن أهم المسالك المنطلقة منها :

– مسلك ورقلة تاد مكة . غاو : و يعد هذا المسلك من أقدم المسالك المؤدية إلى السودان الغربي

حيث ورد ذكره في كتاب طبقات المشائخ للدرجيني(6) وهو يمتد في خط مباشر جنوبا عبر الصحراء مسلك ورقلة . أغاديس: لقد كانت العلاقة التجارية بين المنطقتين متميزة وعريقة والمرور إلى

أغاديس يكون على نفس خط تاكدة أي ورقلة ثم غدامس و منها إلى غات ثم تاكدة و منها إلى أغاديس وهو يمر إلى الشرق من تاسيلي

: تخرج القوافل من ورقلة إلى مالي وتتجه نحو الجنوب الغربي حتى مسلك ورقلة . مالي

تصل الى عرق الطوارق، ومنه إلى مجرى وادي مائة إلى المنيعة، ومنها إلى عين صالح عبر تيدكيلت ثم تماساو، ومنها الى تيمياوين ثم تهرسال و منها إلى كيدال بالأراضي المالية، وتقطع هذه المسافة في مدة تقارب الشهر من الزمن .

وإلى جانب ورقلة نجد محطة أخرى هامة لعبت دورا في تجارة الصحراء وأخرجتها من العزلة بإعتبارها مركز تجمع القوافل وهي توات التي تبعد عن مدينة الجزائر مسيرة ثلاثون يوما إلى الجنوب(7) ومن أهم هذه الطرق نذكر:

توات . تنبوكتو: وينطلق من توات إلى حاسي حسدة، حاسي البوز،المالح، رقلة، بير ذهب، تنصر، صبطي، طرفية ندقوير، تليق، تاودسني، تمبكتو توات . غاو: ينطلق إلى مراقن عبرصحراء تنزروفت، حاسي باكتليس، تساليت، أقاهوك، أنافيف، تبنكورت، تنقارا وصولا إلى غاو(8)

بالإضافة هذا نجد طريق أخر ينطلق من محطة تجارية لا تقل شأنا عن ما سبق وهي محطة وادي سوف حيث نعد في هذا الصدد طريق وادي سوف . غات والذي يتجه مباشرة إلى غات، ومن غات تسير القافلة إلى تمبكتو أو إلى كانو ومركز إنطلاق أخر من تقرت الذي يمر إلى غدامس ومنه إلى غات ثم تومبكتو(9).

من خلال تتبع أهم الطرق والمسالك التجارية نرى أنها كانت تمر عبر أراضي قاحلة من أشد مناطق العالم حرارة تصل أحيانا 50 درجة مئوية تحت الظل، ومع ذالك قهرتها إرادة الانسان وعليه فمن الطبيعي أن الرحلات لم تكن تخلو من الصعوبات أو المخاطر التي تواجه القوافل في كثير من الأحيان، ويمكن تصنيف العراقيل والعقبات إلى مشاكل طبيعية كالتيه في الصحراء الذي قد يكون سببا في هلاك القافلة كلها أو بعض أفرادها إذا ما ابتعدوا عنها فإذا ضلت القافلة الطريق لأي سبب كان كعدم وجود أدلة ذوي خبرة كافية بدروب الصحراء أوبفعل الزوابع والعواصف الرملية التي قد تخفي معالم الطريق، أو الهروب من قطاع الطرق، فحينها قد تكون النتيجة الهلاك المحتم خاصة في ظل تباعد أوقات مرور القوافل على مناطق معينة .

كما أن نفاذ مخزون المياه من القافلة مع إفتقاد آبار في الطريق يجعلها مهددة بالموت عطشا خاصتا في ظل صعوبة المناخ المتميز بالمدى الحراري الكبير والذي يؤثر بدوره على مواقيت سير القافلة من حط وترحال لتجنب التأثيرات القاسية، هذا إلى جانب ما قد تتعرض له القوافل من خطر هجمات الحيوانات المفترسة كالسباع و الافاعي حيث أنها تمر عبر تضاريس متنوعة في أرض موحشة

أما النوع الثاني من المخاطر فهي بشرية كالصعوبات الأمنية حيث أنه ولشساعة الصحراء لم يتمكن أي نظام لأي دولة من الدول التي قامت على أطرافها من فرض سيطرته ورقابته على أقاليمها و شعوبها، مما جعل المنطقة كلها تشهد كرا وفر بين قبائل عربية و بربرية للسيطرة على طرق وأقاليم معينة(10) وهو ما ساعد على تشكل عصابات اللصوص و قطاع الطرق التي يتزعمها سكان الصحراء من قبائل التوارق و البدو الرحل وهذا في ظل شح مصادر العيش لهذه العينة من سكان المنطقة وهو ما يفرض تسليح القافلة لتدافع عن نفسها وتزويدها بمحاربين

أقوياء من انتماءات قبلية متنوعة وإلزام القبائل التي تستفيد من ضريبة المرور التي كانت تدفعها القوافل بضرورة حماية القافلة وتشكيل ما يشبه شرطة إستعلامات مسبقة، تتكفل بإبلاغ القافلة مسبقا بتحركات العصابات حتى تحتاط لنفسها، موازاة مع إتخاذ أدلاء أوفياء عارفين بمسالك الطرق ومواطن العصابات وهوية أفرادها وانتماءاتهم القبلية وأماكن وجود المياه والطرق الصحيحة(11) لتجنب مختلف المخاطر و المفاجأت الغير سارة.

الأسواق التجارية

تعتبر مراكز الاستقرار على أطراف الصحراء في الواحات والوديان النواة الاولى لبدأ قيام المراكز التجارية، وكان التبادل التجاري في بدايته بشكل بسيط، بين السكان والبدو الرحل لسد متطلباتهم التي يحتاجون إليها وقد تشكلت مراكز تجارية تمثل أسواق كبرى تمون ما حولها من قرى وواحات تعدت أهميتها من المحلية إلى الجهوية والإقليمية ومن أشهر وأهم هذه الأسواق التي تحولت إلى مراكز تجارية لابديل عنها يمكن ذكر :

ورقلة : و تسمى أيضا ورجلان وأيضا وركلان وهي تعتبر البوابة الشرقية لواحات الجزائر، وقد اكتسبت شهرتها الكبيرة كونها المركز الأول للتجارة في المنطقة ومعبر أهم القوافل، ويصف إبن سعيد المغربي مدينة واركلان التي ويصنفها ضمن الجزء الثاني من الاقليم الثالث المتضمن الصحاري المقفرة أنها بلاد نخل وعبيد ... والسفر منها إلى بلاد الصحراء كثير (12)

كما ذكرها الحسن بن محمد الوزان الذي وصف سكان ورقلة في القرن العاشر الهجري . السادس عشر الميلادي بالأغنياء جدا لأنهم في اتصال مع مملكة أغاديس(13) وهي منطقة هامة أخرى سنذكرها، كما تذكر المصادر أن المنطقة أصابها بعض الخمول لظروف تاريخية غير أنه وبعد ثورة إبن غانية إستعادت نشاطها حوالي 1353 م حسب إبن خلدون الذي يصفها بباب الصحراء التي يجب مرور المسافرين الذين يريدون التوجه للسودان ويتحدث عن التجارة الكبيرة الذي يتمركز مع تاكدة المدينة الهامة في إفريقيا الوسطى(14) كما أن بضاعة شمال الصحراء جد رائجة هناك و غالية الثمن بإعتبارها منطقة تماس بين نمطين من الانتاج وكان لأهلها الدور الريادي في قيادة قوافل التجارة إلى بلاد السودان، منذ زمن إمبراطورية غانة الوثنية و قال عنها الوازن إنها مدينة أزلية بناها النوميديون، سكانها أثرياء و ذلك لإتصالهم بأقادس و بضائعها تنقل إلى بلاد السودان و ونقارة مقابل التبر، الذي تسك منه الدراهم و الدنانير.

التوات : وهي منطقة واسعة تظم قواسم مشتركة بين فروعها التي تتفرع إلى ثلاث مناطق رئيسية وهي قورارة وعاصمتها تيميمون وتوات الوسطى وعاصمتها تمنطيط ثم أدرار في القرن 13 هـ وتيدكلت وعاصمتها عين صالح(15) وسط الصحراء الكبرى و تعتبر توات عموما مركزا هام، وسط الصحراء جعلها حلقة وصل بين الشمال الإفريقي وبين السودان الغربي، حيث عملت على تزويد التجار بما يلزمهم من غذاء وماء وغالبا ما يقوم تجار السودان و تجار الشمال الإفريقي بعرض بضاعتهم بها(16) وهدا راجع لرواج المنتجات من كلا ضفتي الصحراء و بهذا أصبحت توات ملتقى مهم لعدد كبير من القوافل التجارية

وادي سوف : مدينة الوادي هي عاصمة منطقة سوف وأكبر مدنها عرفت كأكبر سوق يؤمه التجار من مختلف مناطق الصحراء ما جعل سوقها يزدهر ويصبح منطلق القوافل التجارية والنجوع .

وادي ريغ : وقد كانت مركز موازي لوادي سوف إلى الغرب منه فعلى طول وادي ريغ امتدت مجموعة من الواحات مثلت مراكز تجارية تفاوتت أهميتها وقد أجمع المؤرخون على أن تقرت و تماسين تعتبر من أهم النقاط التجارية منذ الفترة الرومانية إذ كانت تربط قصور الجنوب و بلاد السودان بالشرق الجزائري إلى جانب جامعة التي إستمدت إسمها من تجمع القوافل فيها حسب البعض.

أما مراكز جنوب الصحراء من الضفة الاخرى فتميزت بأسواق بعضها ثابت على مدار السنة، وبعضها موسمي والبعض الآخر ليس له موعد محدد فكلما دخلت قوافل شمال الصحراء تقام السوق، وعادتا عندما تقترب القوافل من هذه الأسواق و تصبح على بعد يومين أو ثلاثة أيام يرسلون من يعلن اقتراب وصولها حتى يحضر السوق ويتهيأ التجار للبيع و الشراء، وهناك بعض السماسرة من يقصدون القافلة قبل دخولها

إلى السوق ويشترون البضاعة لغرض المضاربة و الاحتكار(22) وهذا بالنظر إلى العائدات الهامة التي يتم جنيها من وراء ذالك حيث الربح المضمون ودون مشقة

سوق أغاديس تعني كلمة أغادس باللغة المحلية الزيارة وهي تعد من أهم المدن النيجرية تأسست كمملكة في القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي في موقع استراتيجي هام بين الصحراء و الساحل الإفريقي، على مفترق طرق القوافل التجارية القادمة من الشمال بنيت بالمواد المحلية و سورت بسور خارجي، تبعد عن العاصمة نيامي بحوالي تسعمائة كيلو متر إلى الشمال شرقي، وقد كانت من الأسواق الكبرى التي يتردد عليها تجار ورقلة (17) .

ويذكر الحسن الوازن في ذالك أن رفاهية و غناء أهل ورقلة، مرده التجارة مع مملكة أغاديس، و ذلك في القرن السادس عشر الميلادي كما كانت مقصد تجار مصر و غدامس و فزان، و من أهم بضاعتها البخور و الذهب و العلك(18)

سوق غانة : تقع غانة في الجهة الغربية من إفريقيا جنوب الصحراء، و قد اعتمدت في اقتصادها على التجارة الداخلية و الخارجية وعلى رأسها تجارة الذهب بسبب إمتلاكها لمناجم عدة من الذهب، وكانت سوقها من أكبر أسواق السودان الغربي، يتردد عليها تجار شمال الصحراء و من جملتهم تجار ورقلة منذ القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي، (19)، وتتم عملية بيع بضاعة شمال الصحراء و شراء بدلا منها التبر والعبيد و بعض الصناعات التقليدية المحلية في سوق غانة والأسواق المجاورة لها.

و قد كانت هذه السوق جد منظمة و محكمة، وعرفت نظام المكوس حيث كانت تقبض على كل حمل بعير داخل للسوق دينارا أو دينارين على كل حمل يخرج من السوق و من أهم بضائعها الذهب والعبيد(20)

سوق تومبكتو : وهي سوق عريقة تعتبر مقصد العديد من القوافل من مختلف الجهات ومرجع لأسعار السلع المتداولة برزت في القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي من طرف عناصر من طوارق الازواد، من نقطة التقاء للقوافل و بئر للسقي إلى مدينة كبرى، و منذ تأسيسها انطلقت كسوق تجاري يلتقي فيه تجار الشمال مع الجنوب، واشتهرت كذلك إلى كونها مدينة اقتصادية حاضرة علمية، و بقيت سوقا عامرة، بها العديد من الدكاكين المتخصصة، و يقصدها تجار الشمال، وتدر أموالا كثيرة للدولة من مداخيل الضرائب التي كانت تفرض على التجار والقوافل الوافدة إليها من مختلف مناطق الصحراء حيث كانت مقصد مفضل لقوافل الشمال.

سوق غاو: وتقع شرق باماكوا وجنوب تاد مكة على منعطف نهر النيجر، وقد عرفت عبر تاريخها الطويل بعدة أسماء منها جوجو وكوكو و كاغو، وأصبحت العاصمة السياسية لمملكة سنغاي على عهد الأسيقيين(21) ، وقد عرفت تمدنا كبيرا و كثافة سكانية مرتفة عن ماجاورها وهذه الخصائص والمميزات جعلتها عاصمة اقتصادية من الطراز الأول، حيث سيطرت على التجارة النهرية و البرية في المنطقة، وقد كان بها سوق كبيرة عامرة بالدكاكين التي يملكها تجار من مختلف الأجناس والأجنحة التجارية المتخصصة في بيع مختلف البضائع بما فيها الرقيق الذي كان رائج في أسواق النخاسة

سوق تاد مكة : تقع إلى الشمال الشرقي من غاو قال عنها الرحالة البكري: " تاد مكة أشبه بلاد الدنيا بمكة و معنى تاد مكة هي مكة وهي مدينة كبيرة بين جبال وشعاب وهي أحسن بناء من مدينة غانة(22) وقد كانت محطة هامة في طريق القوافل حيث تقام فبها سوق كبيرة كلما حلت بها القوافل الوافدة من شمال الصحراء، لكونها تقع في مفترق الطرق المؤدية إلى أسواق مجاورة، ومنها توزع السلع والبضائع على الاسواق المحلية(23) على إعتبار أنها كانت أيضا مقصد للعديد من القوافل .

السلع المتبادلة

عرفت تجارة جنوب الصحراء حركية وحيوية في العهد الزياني مثلما أسلفنا سابقا وقد إزدهرت و إنتظمت وأول شركة صحراوية عرفناها كانت شركة المقريين الذين إستوطن جدهم عبد الرحمان بن أبي بكر صاحب أبي مدين مدينة تلمسان ، فقد نقل لسان الدين بن الخطيب في الاحاطة عن شيخه أبي عبد الله المقري أنه كان لجده أبي بكر بن يحيى بن عبد الرحمان أربعة إخوة إشتركو في التجارة ومهدوا طريق الصحراء

بحفر الابار وتأمين التجار وإتخذوا طبلا للرحيل وراية تقدم عند المسير، وكان أبو بكر ومحمد بتلمسان وعبد الرحمان بسجلماسة وعبد الواحد وعلي بإيوالاتن الواقعة في الشمال الغربي لتنبكتو على بعد 400 ميل، فكان التلمساني يبعث إلى الصحراوي بما يرسم له من السلع وذاك يرسل له بالجلد والعاج والموز والتبر، والسجلماسي بينهما كلسان الميزان يعرفهما بقدر الرجحان ويكاتبهما بأحوال التجار والبلدان فإتسعت أموالهم وعظم شأنهم (24)

وقد كان من الطبيعي أن السلع التي تصدر للسودان هي تلك التي تفتقدها هذه البلاد لظروف طبيعية أو حضارية تعوق إنتاجها محليا وعليه كان التجار يختارون البضاعة المصدرة من السلع الغير معرضة للتلف أثناء الشحن المطلوبة بكثرة والنادرة في تلك البلاد ومن ضمن هذه البضاعة :

– **التمور** : و كانت من الأحمال الكبيرة التي تصدر إنطلاقا من الواحات الصحراوية العديدة وعلى رأسها واحات تقرت ورقلة وتوات(25) حيث أن منتوج التمور كان قليل في جنوب الصحراء وينعدم في شمالها

– **الملح** : يتم إستخراجه من الشطوط المنتشرة في تخوم الصحراء كشط حمراية، الحضنة، مروانة، ملغيغ وغيرها، وقد كانت مادة الملح نادرة في الصحراء(26) فهو ذا أهمية في الحياة اليومية لسكان الصحراء حيث يدخل في مجالات كثيرة كالطهي ودباغة الجلود وفي تجفيف اللحوم، وعلى هذا الأساس فهي مادة مطلوبة جدا وغالية الثمن وصلت في بعض أسواق السودان إلى وزنها ذهبا، (27) ويتم مقايضتها بالمواد النفيسة حيث كان ثمن العبد الواحد قطعة ملح لا تزيد عن حجم رجله

الابل : علاوة على كون الجمال سفن الصحراء و وسيلة نقل هامة فهي تعد أيضا بضاعة في حد ذاتها خاصة المهاري التي تنقل خصيصا لبلاد السودان لغرض بيعها، ورغم أن ثمنها غير مرتفع بالمقارنة مع البغال والأحصنة لكنه يتاجر بها لكونها لا تكلف التاجر شيئا، فالمهري يمشي دون شحن و يأكل من أعشاب الأرض، وحتى إذا أصابه مرض ينحر و يؤكل أثناء الرحلة(28) وبذالك فالاستفادة مزدوجة والربح في كلتا الحالتين وارد.

– **المنسوجات** : و ذلك لتوفر المادة الأولية في عملية النسيج من صوف الأغنام ووبر الجمال وشعر الماعز، ومن أهمها العباءات الصوفية والبرانس الوبرية والحنابل والأغطية وبعض الألبسة البسيطة والخفيفة المصنوعة من الصوف والقطن والخيام المنسوجة من وبر الجمال وشعر الماعز و الطاقيات، وأقمشة صوفية غير مصنعة تباع في أسواق السودان(29) إلى جانب المنسوجات القطنية التي تدخل في صناعة الألبسة وهو ما يفتقد في جنوب الصحراء.

. ريش النعام : كان النعام موجودا بعدد كبير بالضفة الشمالية خاصة بالسهوب والاطلس الصحراوي، يصطاده السكان لغرض الاستفادة من لحمه و شحمه طازجا و مجففا، أما ريشه الكبير فيجمع على شكل رزم و ينقل إلى السودان، أين يقبل عليه التجار المحليون لشرائه لكونه يستعمل خاصتا لصنع تيجان توضع على الرؤوس في المناسبات وأثناء الرقص التقليدي، كما تصنع منه مراوح ومظلات و بعض الأنواع من السجاد، ويعلق على مداخل المنازل تعبيرا على الترف و الجاه(30) وإستعمالات أخرى لبعض الطقوس المحلية.

. منتجات صناعية: منها الأدوات الحديدية ذات الاستعمال الواسع، والتي لم يكن بالامكان صناعتها جنوب الصحراء لأنها تتطلب مهارة حرفية وإمكانات لصهر وطرق المعدن فقد كان يصنع معظمها محليا من قبل الحدادين والصناع التقليديين كالسكاكين، السيوف، أقفال المنازل، الأجمة الخاصة بالدواب ، الفؤوس والمعاول، المناجل،السروج، والدروع، الخوذات، السهام، الأقواس، النشاب(31) وتنقل إلى الجنوب حيث تلقى الرواج .

. **الحبوب والثمار** : وهي البضائع المطلوبة جنوب الصحراء بسبب الظروف الطبيعية والمناخية الصعبة وعموما هي من الأنواع التي لا تتعفن في الطريق مثل البقول، التين المجفف، الشاي والسكر، الزبيب، والقمح عند طلبه لكونه ثقيلا و نقله صعب أما عن الزيوت فأجودها ما يعصر في

نواحي بسكرة وجبال الأوراس غير أنها لا تنتج إلا بكميات قليله ولذلك كان تجار وادي سوف يستوردون كميات أخرى من بلاد الجريد يحملونها معهم إلى مختلف الأسواق. تستورد أسواق المغرب الاوسط من السودان الغربي ما ندر في الشمال وعلى رأس البضاعة نجد:

الذهب : ويعد أهم بضاعة تصدر إلى حواضر شمال الصحراء كتوات ورقلة من القرن الرابع الهجري و العاشر الميلادي إلى غاية القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر الميلادي ويعد مصدر ثروة لتجار الشمال قبل أن تستكشف طرق التجارة البحرية من طرف البرتغاليين والاسبان يقول البكري :" إن حوالي مدينة كوغة معادن التبر كثيرٌ و هي أكثر بلاد السودان ذهبا(32)

العبيد : وهي من خصوصيات تجارة جنوب الصحراء وكانت لها أسواق خاصة في مختلف المدن السودانية و أكبر سوق لها كان في غانة حيث يجلب إليه العبيد من مختلف الجهات، وهم أسرى الحروب والغارات التي تقع بين القبائل الزنجية، أو يباعون من طرف أوليائهم بسبب الفقر، وكان العبد يباع أحيانا بكمية من الملح لا تتجاوز 1كغ وبعد شرائهم ينقلون من إفريقيا جنوب الصحراء إلى شمالها(33) وذالك سيرا طول المسافة الفاصلة بين المنطقتين إختبار لقدرة التحمل فقد كان يشترى العبيد الاقوياء الذين لديهم قدرة على التحمل لإستعمالهم في مختلف الاشغال لدى مالكيهم الجدد.

الجلود : وهي جد مطلوبة في الأسواق المحلية لكونها تدخل في صناعات عديدة كصناعة قرب الماء والنعال والأحذية ومحافظ النقود والسروج وتغلف بها أغماد السيوف و السكاكين، وأكياس تدعى المزود وتجلب منها أنواع عديدة منها جلود الغنم وجلود الإبل والبقر والماعز المدبوغة وجلود الحيوانات المفترسة من النمور والأسود وجلود الأفاعي(34)

العاج : ويباع في مدينة كانو لجميع التجار الأجانب و مادة العاج تصنع منها مقابض السيوف والسكاكين وبعض التحف الثمينة، وقد كانت كالحلي مطلوبة أكثر لدى الطبقات الميسورة .

التوابل: كالفلفل الأكحل، الزنجبيل والقرفة وهي غالية الثمن ورغم ذلك يقبل عليها التجار لكونها مطلوبة جدا ومفضلة في الأسواق المحلية، وهي من المواد التي قد يعاد بيعها لأسواق أخرى خاصة ماوراء البحر.

الماشية : يستورد تجار بعض المواشي الملائمة للحياة في الصحراء لكنهم يبيعونها في الحواضر التي تقع على خط القوافل خاصة في منطقة عين صالح و توات و من النادر جدا أن تصل منها شاة الى الشمال، وهذا لوفرة قطعان الماشية في الشمال كما أن الأغنام من نوع سيدوان التي يربيها الطوارق خاصة هي أضعف من حيث النوعية عن بقية سلالات الاغنام في السهوب .

بضائع مختلفة : يتم إستيراد أنواع أخرى من السلع والبضائع تلقى الرواج في الشمال منها بيض النعام، النحاس، الشب، اللحم المجفف، الفول السوداني، الحناء، الصمغ، والعسل والسمن وأنواع عديدة من البخورو الحلي والاعشاب الطبية...الخ

التواجد اليهودي في الصحراء

يعود الوجود اليهودي في شمال إفريقيا إلى التاريخ القديم سواء بالهجرات أو بإنتشار الديانة اليهودية في بلاد المغرب ونفذت إلى داخل القبائل البربرية دونما صعوبة دون الحاجة إلى عملية دعوة أو تبشير(35)،(36) وهذا راجع إلى الاستعداد الفطري لسكان المنطقة لتقبل فكرة التوحيد في الدين كما مثل اليهود القدماء في البلاد اليهود الأصليين الذين أصبحو يعرفون بالعبرية بإسم التوشابيم Tochabim

وبدخول الفتح الإسلامي مع جيوش حسان بن نعمان الأوراس أشير له بأكبر أمرائها الكاهنة والتي قيل أنها يهودية (37) زعيمة قبيلة جراوة إحدى أكبر قبائل الاوراس، ثم كان الزحف الهلالي والذي جلب معه أعداد من اليهود وخلال محنة الأندلس وفدت على البلاد هجرات ضمت عدد (39)Megorachim هام من اليهود الأندلسيين عرفوا بإسم الميغوراشيم(38)

وإن تركزت تجمعات يهودية في الشمال الافريقي وتأثرت بالاحداث التاريخية فقد توغل عدد منهم في الصحراء بسبب الإضطهاد الديني الذي تعرضوا له في العهد الروماني فكانت حياتهم في واحات الجنوب أكثر إستقرار لبعدها عن الإضطرابات والمعارك والكوارث الطبيعية مما ساعد على نوع من الإستقرار الديمغرافي فالصحراء في كل الحالات تمثل ملجئ أمن لكل هارب من أي إضطهاد مثلما كان الامر للإباضيين

بعد سقوط الدولة الرستمية وعليه شكل اليهود في الصحراء بين جيرانهم العرب والبربر مجتمع قائم بذاته له خصائصه ومميزاته من حيث الشبه المورفولوجي أواللغوي متضامن بين أفراده الذين يرون في ذالك الشعور بالتمايز سبب ضعفهم وقوتهم في أن واحد والإنعزال سر بقائهم حيث أصبح بالنسبة لهم نمط حياة لاغنى عنه و جزء من تقاليدهم. ومايزيد في تميزهم هو روح التضامن والتجمع والإنغلاق على الذات، متمسكين بالرموز الدينية التي تمثل علامات هويتهم والتي تميزهم عن غيرهم مهما كان التقارب بينهم وبين الشعوب التي يعيشون معها وهذا نابع من التعاليم الدينية حيث نجد في هدا الصدد الكثير من الأيات في التوراة تحث اليهود على الإلتزام بالوصايا والإمتثال لها (سفر تثنية الإشتراع الأصحاح 8 و11) من أجل مواجهة الأخر أو الأغيار حسب المصطلح التوراتي أي الغوييم بالعبرية، ورغم أن السكن في الحارات لم يكن إجباري غير أن الأغلبية الساحقة بقيت متمسكة بشدة وعناد بالبقاء في الحارة منغلقة على نفسها بعيدة عن أعين الفضوليين وعن مخاطر إطلاع الغير على أسرارها وحساباتها. (40) وهذا ما كان يثير الاخرين ضدهم في بعض الحالات، وفي المقابل شعور بالتوجس من طرف اليهود ضد الاخرين.

فحسب اليهود كل الأمم التي يعيشون بينها تحقد عليهم وتكرههم بالسر والعلن، وإزاء ذالك أصبح التقوقع الطبيعة الملائمة لليهود وأصبحت المشاركة الفعالة في المجتمعات التي يعيشون فيها أمر يصل حد الإستحالة، والشك في الأخر يصبح بذالك سلوك وقائي في هذه الحالة إذا ما تعمقنا في جوهر الذهنية اليهودية، كما أن الانتقام منه يكون من خلال إستغلاله وإمتصاص دمه بالربا أوالتجارة فيما ينتجه والربح من وراء ذالك.

وعليه فمن الطبيعي على طول الإضطهاد لأسباب سبق ذكرها أن مثل هذا التعامل خلف أثر على نفسية الطائفة اليهودية للجزائر؛ فمن جهة يلاحظ إنحطاط أخلاق الشعب كما كان يلاحظه الآباء لدى الأرقاء المسيحيين ، .كإستعمال أساليب الخداع الخيانة الكذب السرقة التجسس . ومن جهة أخرى نفس هذه الطائفة إضطرت لإستغلال كل صفات الذكاء والمبادرة لتعيش ، لكن النجاح نفسه سبب كوارث في كل مرة حيث الوضع مستقر جدا يندلع رد فعل مسلم(عنيف) يزيد المعاناة والكل الى الإعادة من جديد (41)، في شكل حلقة من الاحداث متتالية.

وعموما تشير المصادر إلى أنهم تحت حكم الأمراء المسلمين كان وضعهم أحسن مما كان عليه في أروبا، فهم فلم يكونوا ضحايا إلا في إستثناءات نادرة فلا إضطهاد ولا معاملة خاصة و يستطيعون التنقل بكل أمان دون الخوف من أفعال عنف أوقمع (42) إلا في حالات نادرة لعوامل تاريخية نتيجة أحداث إستثنائية وتراكمات من ممارسات وسلوكلت سلبية، فهم على العموم كانوا يعيشون كالمسلمين يتمتعون بالصداقة والحميمية من الجموع، إلى جانب إحترام الحكام، ومستقرين في حاراتهم أو الغيتو أو مختلطين بالمسلمين(43)، بقدر ما تسمح به ديانتهم كما أسلفا الذكر

وقد إنتشروا في ربوع الصحراء في مناطق شاسعة حيثما كانت التجارة والثروة كان اليهود ومن بين هذه المناطق نجد منطقة توات التي عرفت ثلاث هجرات رئيسية، انطلقت الاولى من ليبيا باتجاه توات في القرن الثاني الميلادي، والثانية كانت في القرن السادس الميلادي، من الموصل ثم انضمت إليها جالية من يهود خيبر في صحراء ليبيا ومصر والاخيرة انطلقت في القرن السابع الميلادي من الأندلس إلى الغرب، لتصل إلى توات في القرن العاشر الميلادي (44) وإن كانت أقل تأثير بإعتبار أن يهود الميغورشيم إستقروا بالمدن الشمالية الشبيهة بالبيئة الاندلسية كتلمسان، وهران، البليدة، الجزائر، قسنطينة وعنابة، ومن توات إنتشر اليهود بوادي ميزاب الدي عرف قدوم عائلات يهودية هاجرت من تمنطيط بتوات بسبب خراب البيعة التي هدمها الشيخ المغيلي، وإنظم إليهم يهود آخرون قدموا من مختلف أقطار المغرب، وقد إشتغل يهود ميزاب بحرفة صناعة الحلى و صناعة الأواني المعدنية وقد منع الميزابيون اليهود من ممارسة التجارة (45) لأنهم رأوا فيهم منافس خطير وهم الذين إنعزلوا في واديهم وإحترفوا التجارة بحكم وجود المنطقة على طريق القوافل لا يمكن أن يسمحوا لأي طرف أن ينافسهم في مصدر رزقهم .

كما إنتشروا في وادي ريغ نظرا لوقوعها في شبكة الطرق التجارية بين بيسكرة و ورجلان وكانت لهم علاقات إقتصادية مع غيرهم من اليهود المحيطين بالمنطقة لتقارب نمط المعيشة والظروف المتشابهة بين أفراد الطائفة في كلتا المنطقتين

وفي وادي سوف عرفت المنطقة منذ الفتح الإسلامي هجرات يهودية، وذلك لما للمنطقة من أهمية تجارية فقد تعاملوا مع السكان بنشاطهم الحرفي من خلال بعض الصناعات التي إشتهروا بها في كل المدن التي تواجدو بها، وفرضوا وجودهم التجاري في المدينة حيث لا تزال إلى اليوم مناطق تشهد على وجودهم الغابر كحي الملاح أو رحبة اليهود بسوق المدينة، أما بورقلة فلأهميتها الاقتصادية السالفة الذكر فقد كان اليهود جزءا من النسيج الإجتماعي للمدينة، فكانوا أرباب مال وتجارة وعلى علاقات ببقية اليهود الاخرين .

كما سجلت إفريقيا جنوب الصحراء في مدنها التجارية حضورا للعنصر اليهودي الذي كان يشكل نسبة هامة من السكان المقيمين بها كمالي والنيجر وأبرزها تونبوكتو وتمكن اليهود من السيطرة المتزايدة في الحركة الإقتصادية بها، بسبب خلو المجال أمامهم وضعف المنافسة من طرف السكان الزنوج.

لقد استفاد اليهود من عدة مميزات مكنتهم من احتلال الصدارة في التجارة الصحراوية، وإن أثار عليهم ذالك نقمة بعض الحكام في بعض الفترات كملك تنبوكتو الذي كان معادي لليهود ومنعهم من مملكته وكان إذا علم أن تاجرا من بلاد البربر يخالطهم أو يتاجر معهم صادر أمواله (46) وهذا بفعل ما كانوا يرتكبونه من مخالفات وتأثير دعوات الحد من نفوذهم المتزايد في بعض مناطق الصحراء حيث لم يعد للمسلمين سوى السلطة الاسمية كما بلغ النفوذ اليهودي ذروته مع نهاية القرن 15 م فكان من الطبيعي أمام هدا التجاوز اليهودي الخطير أن لا يمر وقت طويل لتتفجر ردود فعل المسلمين(59) كإستفاقه ومحاولة لإرجاع الاوضاع إلى نصابها وتصحيح العلاقة التي يجب أن تكون بين المسلم والذمي حسب ما يقتضيه عهد الذمة. والتي سبق وأن حددها الإسلام لأهل الذمة من خلال ما هو موجود في الفقه الإسلامي، وبهذه التصرفات خرق اليهود كل العهود والمواثيق.

نشاط اليهود وثورة الشيخ المغيلي عليهم:

من الناحية الإقتصادية فلقد برع يهود على غرار كل اليهود في إي مكان من العالم في ميدان التجارة حيث تعتلي هده الحرفة منصة المهن التي إشتغل بها اليهود وكان الشتات الدياسبورا (47) من أهم الأسباب التي أدت إلى تفضيلهم هذه المهنة على غيرها؛ ذالك أنهم ليس لهم وطن يأمنون إليه ومن ثم حرصوا على أن تكون أموالهم سائلة، كما كان من الشائع لديهم أن يتركوا أبنائهم لدى إحدى الوكالات التجارية الكبيرة يتعلمون فيها أصول التجارة (48) لذلك بدأ يظهر وينتشر نظام الوكالات التجارية والتي من خلالها إزداد نفوذهم في البلاد، وبإعتبار مناطق الصحراء معبر لأهم البضائع بين الشمال والجنوب وبالتالي فهي واسطة بين منطقتين تختلفان في كل شيئ فلا يوجد من هو أبرع في لعب دور الوساطة من اليهود أنفسهم فهم يحسنون لعب دور الوسيط وهذا ما أثبتته الوقائع التاريخية عبر الزمن، وقد إستمر الامر حتى إذا ما حل الاتراك العثمانيون في الجزائر في وقت لاحق أوكلوا لهم كل مقاليد التجارة الخارجية التي أصبحت حكرا عليهم.

وقد تحصلوا على ثروات ضخمة نتيجة ممارسة السمسرة والمراباة، والقيام بدور الوساطة في كل العمليات التجارية مهما كانت بسيطة أو تافهة، فاليهودي عموما يبيع كل ما هو ممكن بيعه وبذالك كانت حارات اليهود أهم المراكز التجارية، ناهيك على أنهم أصبحوا خبراء المسالك وأنواع البضائع المتداولة في الجزائر وإفريقيا مع أروبا.(49) وبقية الوجهات التجارية وعبر كل الحقب التاريخية، وبهذا الخصوص فقد كان اليهود عنصر فعال لتجارة توات، فتواجد الجالية اليهودية الغنية والكبيرة بها جعلها تحتكر التجارة، وصياغة وسك النقود، ولعبوا أدوار مهمة كوسطاء، جعلت الطائفة اليهودية طاغية بمالها وثرائها الفاحش الذي اكتسبته بالربا، و نمته بالتجارة الغير مشروعة، عن طريق استغلال الضعفاء. وقد إستغل يهود توات أموالهم و ثراءهم فتحكموا في القادة السياسيين وتسلطوا عليهم، وأخضعوهم لإراداتهم و لخدمة مصالحهم الخاصة، وقد تلاقت مصالح التجار اليهود مع مصالح بعض زعماء القبائل والامراء في تمنطيط وقد أدى تلاقي المصالح هذا إلى السماح لليهود

ببناء وتشييد بيعة كبيرة لهم تجاوزت كل الحدود في ضخامتها تشبيها بهيكل سليمان، كما بنوا بيعا أخرى في واحات توات الأخرى التي يتواجدون فيها، وهذا ما مثل مخالفة للشريعة الإسلامية التي تسمح لهم بترميم معابدهم القديمة فقط، وأصبحت المنطقة بذالك وكأنها مملكة يهودية في أرض إسلامية، إن ماقام به اليهود يدل دلالة واضحة عن مدى التسامح الذي حضيوا به في أرض توات في وفي غفلة عن أهل الفطنة فإن الامر تحول عن المسموح به وقد أعتبر ذالك مساسا بالشعور الإسلامي، وتطاولا على السكان المسلمين وتحولت المسألة إلى جدل فقهي بين علماء المسلمين، وكان من بين من عارض هذا القول بجواز بناء اليهود معابد لهم محمد بن عبد الكريم المغيلي(50)، حيث أصدر فتوى أكد من خلالها: "أن سيطرة اليهود على عموم نواحي الحياة، ولهذا يجب محاربتهم وهدم كنائسهم وكسر شوكتهم" بعد أن أشتكى سكان المنطقة له تصرفات اليهود فأخذ على نفسه عهدا أن يقاومهم وبعيدهم إلى مكانهم الطبيعي كطائفة يهودية في بلاد إسلامية، خاضعة لعهد الذمة ، وقد أثارت هذه الفتوى ردود فعل كثيرة في أوساط معاصريه بين مؤيد ومعارض.

ولم تبق القضية متداولة بين الفريقين، بل راسل كل منهما أكبر علماء العصر في الحواضر المغاربية كتلمسان وفاس وتونس لحشد التأييد لقضيته، فكان ممن عارض المغيلي علماء تلمسان وفاس وعلى رأسهم عبد الرحمن بن يحي العصنوني وقاضي توات أبو محمد عبد الله بن أبي بكر الأسنوني، وممن أيد المغيلي من العلماء الفقيه محمد بن يوسف السنوسي ومحمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي مؤلف كتاب "الطراز على ضبط الحراز" في القرآن الكريم، ، وأبو عبد الله التلمساني الحسني، ومفتي تلمسان أبو العباس المغراوي، وفور وصول هذه الفتاوى من هؤلاء العلماء خاصة السنوسي والتنسي لواحة تمنطيط بداء المغيلي الثورة على اليهود سنة 882هـ . 1477م وقد حضى بدعم قبيلة أولاد يعقوب أكبر قبائل توات والبرامكة فشن المغيلي وأنصاره على اليهود حملة شرسة أراد من خلالها أن يعيدهم إلى القوانين التي حددها لهم الإسلام وكان قد جمع تلاميذه و أنصاره، وطلب منهم أن يحملوا المعاول والسلاح وانقضوا على معابد اليهود فدمروها تدميرا ومنها بيعة تمنطيط التي هدموها على آخرها كما هدموا البيع الموجودة في الواحات الأخرى، ووعد المغيلي أن كل من يقتل يهودي، بسبعة مثاقيل ذهبية، فغضب اليهود، وحقدوا عليه، وصاروا لا يسلمون عليه و على أصحابه عندما يمرون عليه، و أخذوا يشيعون بعض الأقاويل ضده، فأغتاظ أصحابه من ذلك، وقاموا بمهاجمة اليهود و قتلوا واحدا منهم (51) إن ما قام به المغيلي في توات من طرد لليهود، أثار ردود أفعال وجدلا خاصة من طرف العلماء والفقهاء فهناك من أيده وهناك من عارضه فنجد الشيخ السنوسي بعث رسالة إلى المغيلي أثنى فيها على ما قام به. وفي المقابل عارضه قاضي توات وأستنكر على المغيلي ما فعله

كما عارضه مفتي تلمسان ، و مفتي فاس و القاضي أبو زكريا يحي بن أبي البركات وعاد إلى توات ثم إنتقل إلى غاو بالسودان الغربي الذي كان محطته الثانية بعد توات في نشر العلم،

وقد كان من نتائج الثورة أن تعرضت المنطقة لأزمة إقتصادية لأن اليهود كانوا أهل صناعة والمحرك الحقيقي للمبادلات التجارية مع بلاد السودان الغربي وعانت المنطقة كثيرا خلال عهد امارة المغيلي من مشاكل إقتصادية بسبب تجنب تجار الشمال المرور بتوات عند رحلتهم لبلاد السودان الغربي (52) عاد اليهود لتمنطيط بشكوى السكان لزعيم قبيلة أولاد علي بن موسى عمر بن عبد الرحمان بعد تضرر وتعطل تجارتهم وحرفهم وإستند هو على فتوى القاضي العصنوني حيث أن تنفذ اليهود في المنطقة ولقرون عديدة جعلهم المحرك الاساسي للتجارة وجماعة وظيفية لاغنى عنها وهو ما أثبتته التجربة بعد ثورة المغيلي والذي في أثناء وجوده في بلاد السودان يواصل عمله الإصلاحي، بلغه نبأ مقتل أبنه الشيخ عبد الجبار في توات من طرف اليهود فطلب من الأسقيا أن يعتقل كل التواتين ثم تراجع عن ذالك(53)، وجمع أنصاره سنة 902هـ 1496 وجهز جيش للحرب ولم يتمكن من هزم غريمه فعاد إلى مركزه في بوعلي بوادي البرامكة، وإن كان اليهود قد عادو لتوات فلم يكن الامر بنفس القوة والنفوذ الاول بعد أن كسر المغيلي شوكتهم .ولعل أهم النقاط التي يمكن التوقف عندها أن الصحراء رغم شساعتها وصعوبة إختراقها أو عبورها ناهيك عن الحياة فيها لم تشكل حاجز بين سكان ضفتيها الشمالية والجنوبية فقد أوجدت مسالك وطرق إرتادها تجار محترفين إسترزقوا من الحركة التجارية فكان لهم فضل نقل سلع بين المنطقتين وقد أضاف اليهود كجماعة وظيفية للحركة التجارية حيوية في

المنطقة وهذا بإعتبار النشاط التجاري يوائم نمط حياتهم ونظرتهم لمحيطهم الذي يعيشون فيه فبرعوا في التجارة وسيطروا على النشاط الاقتصادي في توات ما ولد رد فعل عنيف ضدهم كأحد أوجه الحركية التاريخية وهو أمر تكرر في عدة أزمنة وأمكنة.

الهوامش

1. الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج محمد الطمار سلسلة الدراسات الكبرى الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1983 ص153

2. نفسه، ص236

3 . مبارك بن محمد الميلي تاريخ الجزائر في القديم والحديث جزء 2 المؤسسة الوطنية للكتاب ص483.

4 . يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية و الدولية، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،1999،ص 112

5 . يحي بوعزيز: " طرق القوافل و الأسواق التجارية كما وجدها الأوربيون بالصحراء الكبرى خلال القرن التاسع عشر" تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر،المنظمة العربية للعلوم والثقافة(د ط)،بغداد،1984، ص29

6 . يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية و الدولية، ،ص 77

[7] – حسين جاجوا: دور غدامس التجاري ما بين طرابلس و السودان الأوسط و الغربي خلال 1850م–1881م، أطروحة مقدمة لنيل دبلوم الدراسات المعمقة ، إشراف : عبد القادر زبادية، جامعة الجزائر،1981، ص52.

[8] – إبراهيم مياسي : " الاهتمام الفرنسي بالصحراء "، مجلة طريق القوافل، المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ و علم الإنسان و التاريخ ، مطابع قرفي عمار، باتنة، الجزائر،2001، ص86.

9 . محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري في القرن ما بين (1792–1830) ،المؤسسة الوطنية للكتاب، ط2، الجزائر، 1984م،ص ص 163–164.

10 . إلياس بن عمر الحاج عيسى ،" وارجلان دراسة في النشاط الإقتصادي و الحياة الفكرية في الفترة (4–10 هـ /10–16م)"، أطروحة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الإسلامي ، إشراف عبد العزيز لعرج، جامعة الجزائر،2008–2009،ص87.

11 – نفسه ص89

12– أبي الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي، كتاب الجغرافيا تحقيق إسماعيل العربي المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع بيروت 1970 ص126

13 . الحسن بن محمد الوزان الفاسي : وصف إفريقيا ، تر: محمد حجب ومحمد الأخضر دار الغرب الإسلامي ، ط2 ، بيروت ،1990م، ج2.ص136.

14 – Notes pour servir a l historiqe d ouargla 1888 REVUE AFRICAINE volume 64 annee 1923 p384

15 . فرج محمود فرج : إقليم توات خلال القرنين (18–19) م، ديوان المطبوعات الجامعية ، (د ط) ، الجزائر ، 2007م ،ص 1.

16 – نفسه ، ص 13

17 – الوزان : المصدر السابق ،ج2،ص171.

18 –. إصلاح محمد البخاري حمودة : انتشار الإسلام و الثقافة العربية في إفريقيا ما رواء الصحراء تنبكت غدامس نموذجا (7–11هـ)(13–17م) ،(د ن)، ط1(د،م ن)، 2004، ص184.

19 . محمد بن عبد العزيز الشريف الإدريسي : نزهة المشتاق في إختراق الآفاق , مكتبة الثقافة الدينية ,(د ط), مصر, (د س ن) ، ص 21.

20 . إسماعيل العربي:ا لصحراء الكبرى وشواطئها,المؤسسة الوطنية للكتاب,ط1,الجزائر 1983م، ص 61.

21 – جان ليون : قصة الحضارة في اقر يقيا جغرافية و تاريخ تلمسان و بجاية و تونس و نوميديا و الشمال الإفريقي ، تر: نور الدين قورفو ، (د ط) ، دار الكتاب الحديث ، (م د ن) ، 2011م ، 543.

22 –. الإدريسي : المصدر السابق ، ص 21.

23 – كانت أغلب الاسواق مناسباتية حيث تقام كلما إقترب موعد وصول قافلة فتتم العمليات التجارية ومن بيع وشراء ومقايضة ثم تنفض السوق إلى أجل لاحق

24 – مبارك بن محمد الميلي تاريخ الجزائر في القديم والحديث جزء 2 المؤسسة الوطنية للكتاب ص 484.

25 . عبد القادر زبادية : الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء,المؤسسة الوطنية للكتاب,(د ط),الجزائر،1969م، ص37.

26 – أغلب الشطوط والسبخات التي يستخرج منها الملح توجد على أطراف الصحراء ويتعذر إستخراجه من المناطق حيث العرق أو الرق أو الحمادات وهي أبرز مظاهر السطح الصحراوي.

27 – أحمد ذكار : حاضرة وارجلان وعلاقاتها التجارية بالسودان الغربي (1000-1301)هـ (1591- 1883)م , أطروحة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإفريقي الحديث والمعاصر , (1430-1431)هـ (2009- 2010) م، ، ص96

28 . نفسه، ص 95.

29 – محمد العربي الزبيري : المرجع السابق، ص ص 165-166.

30 – نفسه ، ص 167.

31 . محمد محمود : " العلاقة الثقافية بين السكان في الشمال و جنوب الصحراء الكبرى " في أعمال ندوة التواصل الثقافي و الاجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء، منشورات كلية الدعوة الإسلامية و كلية الآداب، طرابلس 1998م، ص57.

32 . أبو عبيد الله البكري : المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب, دار الكتاب الإسلامي (د ط), القاهرة,(د س ن)، ص176.

33 – احمد ذكار : المرجع السابق ، ص 102.

34 . عبد القادر زبادية، مملكة صنغاي في عهد الأسيقيين (1493-1591) م، الشركة الوطنية للنشر والطباعة والتوزيع ، (د ط), الجزائر,1971م، ص 223.

35 – . بشير، عبد الرحمان ، اليهود في المغرب العربي 22هـ. 462هـ ،عين شمس للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية ، طبعة أولى 2001.ص60

36 – كلمة التبشير مصطلح مسيحي عربي والأجدر قول التنصير إذا ما كان هدف الفعل موجه للمسلمين لأن هؤلاء بشرو بالدين الإسلامي والنبي محمد والذي من ألقابه(البشير) منذ زمن وليسوا في حاجة إلى تبشير بخلاص

37 - Eugène ALBERTINI , Georges MARCAIS, Georges YVER L'Afrique du nord français dans l'histoire . Lyon: éditions Archat 1937 p 136

38 – فوزي ، سعد الله ، نفس المرجع الأنف الذكر ص، ص119

39 – أي المهاجرين ومقطع (إيم) في اللغة العبرية أداة جمع

40– عبد القادر كركار، الطائفة اليهودية في الجزائر 1830 . 1900 التجنيس و ردود الفعل ، رسالة ماجستير في التاريخ المعاصر، تحت إشراف الدكتورة مسعودة يحياوي، جامعة الجزائر 2008 ص ص19 . 40

41- BOYER . Op,Cit, p. 172

42 – Alfred BEL – Marice EISENBETH . les principales races de l'Algérie .Paris : institut de l'encyclopédie coloniale et maritime ,1937 p105

43 - BEL – Marice EISENBETH . Op,Cit p105

44 – jacob oleil : op ,cit,p15

45 – فوزي سعد الله : المرجع السابق، ص ص 69-71

46 . وصف إفريقيا الحسن بن محمد الوزان الفاسي ليون الافريقي جزء أول طبعة ثانية 1983 دار الغرب الاسلامي ص 165

47 . الدياسبورا كلمة من أصل يوناني تعني حركة تشتت لإثنية أو شعب يملك روابط هوية قوية تحت تأثير هجرة إجبارية

48 . بشير، عبد الرحمان ، المرجع الأنف الذكر ص 99

49 . أبو القاسم ، سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي الجزء الأول ص 392

50 . هو أبو عبد الله، محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي التلمساني ، ينسب إلى قبيلة مغيلة الأمازيغية التي استوطنت الغرب الجزائري و المغرب الأقصى، وهي فرع من قبيلة صنهاجة ولد في مدينة تلمسان سنة 790 هـ / 1425م ، من عائلة راقية النسب ، حفظ القرآن الكريم على يد والده و الذي علمه أيضا مبادئ العربية من نحو و صرف و البيان ، انتقل بعدها ليدرس عند الإمام الفقيه محمد بن أحمد بن عيسى المغيلي الشهير بالجلاب التلمساني (ت سنة 875 هـ)، و الذي أخذ عنه بعض التفسير و القراءات ، ولقنه الفقه المالكي ،كما تلقى العلم عن علماء الجزائر تلمسان " ارتحل إلى تونس ثم القاهرة فحج منها وعاد إليها ثم سافر إلى الشام فزار القدس انتقل بعدها إلى بجاية حيث أخذ عن علمائها التفسير و الحديث الشريف، و الفقه إنكب الإمام المغيلي على الدراسة في بجاية، و لم يكتف بما تحصل عليه من علوم في تلمسان و بجاية ، فتوجه مباشرة إلى الجزائر أين اتصل بالمفسر المشهور – العلامة ا الكبير عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف بن طلحة الثعالبي، و لازمه، و قد أعجب الإمام الثعالبي بالطالب المغيلي ، فزوجه ابنته اعترافا منه بعلمه تحول بعدها ناحية الصحراء منطقة أدرار توات، ساخطا على ما آلت إليه الحياة

الاجتماعية والاقتصادية، فكانت منطقة تمنطيط بداية لدعوته، واحتضنته قبيلة أولاد سعيد العربية حيث عاش بينها كواحد من أفرادها، يستمعون إليه ويتبعون دعوتهومنها قاد ثورته ضد اليهود، إنتقل إلى الالسودان الغربي ثم عاد وإستقر بزاويته بوعلي ،كان كثير التأليف ومن مؤلفاته، التي ذكرها مترجموه :

. ..شرح بيوع الآجال من كتاب أبن الحاجب الفقهي

. .البدر المنير في علوم التفسير.

. .شرح الجمل للخونجي في المنطق .. مقدمة ومنظومة في المنطق ، وله عليها ثلاثة شروح.

. .تأليف في المنهيات ، وموضوعه يتصل بوظيفة الحسبة على ما يبدو من عنوانه.

. .شرح مختصر خليل بإيجاز ، وهو غير تام ، وعليه حاشية سماها إكليل المغني.

. .مختصر تلخيص المفتاح وشرحه في البلاغة.

51. يحي بوعزيز : تاريخ إفريقا الغربية الإسلامية، المرجع السابق ، ص ص 73-77.

52 أحمد الحمدي ، محمد بن عبد الكريم المغيلي رائد الحركة الفكرية بتوات عصره وأثاره،إشراف عبد المجيد بن نعمية، رسالة ماجستير في التاريخ والحضارة الاسلامية، جامعة وهران،عام 2000 ص . 119.120.

53 . عبد القادر زبانه : "التلمساني محمد بن عبد الكريم المغيلي بعض آثار ه و أعماله في الجنوب الجزائري و بلاد السودان"،مجلة الأصالة ، ع26،ص212.